

ابن سينا

النشيطاء المنطقية

مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم المقدسة - إيران ١٤٠٥ هـ

ابن سينا

الشفاء

للمنطق

٧ - السفسطة

تصدير ومراجعة الدكتور إبراهيم مذكور

تحقيق الدكتور

أحمد فؤاد الإلهواني

شبكة كتب الشيعة

نشر وزارة التربية والتعليم

الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

الطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٨ - ١٣٧٧ هـ

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

مَنْشُورَات مَكْتَبَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعُظْمَى الْمُرَعَشِي الْجَنَفِي
قَمِ الْمَقْدِسَةِ - اِيْرَان ١٤٠٤ ق

الفهرس

صفحة

٨	تصاير للدكتور إبراهيم مذكور
(١)	مقدمة للدكتور أحمد قواد الاحواني
(١)	١ — كتاب السفطة لأرسطو
(٢)	٢ — نقله إلى العربية
(٤)	٣ — عنوانه
(٦)	٤ — صعبونه
(٨)	٥ — موازنة بين كتابي أرسطو وابن سينا
(١٧)	٦ — أنواع المغالطات
(٢٤)	٧ — طريقة التحقيق

السفطة

المقالة الأولى

١	الفصل الأول (أ) فصل في تعريف المغالطة وتحديد أجزاء الصناعة المشاغية
٨	الفصل الثاني (ب) فصل في التبيكات الداخل في اللفظ
٢٠	الفصل الثالث (ج) فصل في كيفية وقوع الغلط من جهة المعنى في التبيكات المغالطية
٢٩	الفصل الرابع (د) فصل في رد جميع الوجوه المغالطية إلى أصل واحد وأسبابها إلى سبب واحد

المقالة الثانية

٤٥	الفصل الأول (أ) فصل في الرد على من زعم أن جميع المغالطات إنما تقع بسبب الاسم المشترك
٦٢	الفصل الثاني (ب) فصل في شرح أجزاء الصناعة المشاغية
٧١	الفصل الثالث (ج) فصل في حل المغالطين وكيفية التمكن من الحل وكيفية مقاوماتهم
٨٣	الفصل الرابع (د) فصل في حل التبيكات المغالطية من جهة أدلغاظ
٩٢	الفصل الخامس (هـ) فصل في حل ما في التبيكات المعنوية والتي يمكن من مقاومة أصناف مغالطية
	الفصل السادس (و) فصل في خاتمة الكلام في السوفسطائية وعذر المعلم الأول عن تقصير
١١٠	لوقوع
١١٧	كشاف الاصطلاحات
١٣٣	أسماء الأشخاص والأماكن والكتب

تصدير

للدكتور إبراهيم مذكور

تُعرب لفظة السفسطة عن أصلها اليونانى ، وليس فى مدلولها اللغوى ما يؤذن بزم أو تعريض ، بل بالعكس كان الإغريق الأول يطلقون " سوفستيس " (السوفسطائى) على كل إنسان عالم أو ماهر على نحوٍ ما . وما إن جاء القرن الخامس قبل الميلاد حتى أخذت هذه الدلالة تتغير شيئاً فشيئاً ، وأصبح السوفسطائيون جماعة من المدرسين الذين ينتقلون من مدينة إلى أخرى ليعلموا الناس الخطابة والإقناع ، وفى سبيل الفوز والغلبة لا يترددون فى أن يسلكوا فى الحوار سُبلًا لا تخلو من الخداع والتضليل ، وأصبحت السفسطة باباً من أبواب الجدل ، وفنا من فنون النقاش يعتمد على ضروب من التويه والمغالطة .

ويظهر أن هذا المعنى وحده هو الذى عرف فى العالم العربى ، فليست السفسطة إلا نوعاً من الاستدلال الباطل الذى يتصد إلى تمويه الحقائق ، والسوفسطائى من يصطنعها وينكر الحقائق والبداهيات . وقد بلغ الأمر بالفارابى أن ذهب إلى أن هذه هى الدلالة اللفظية للكلمة ، فزعم أنها مركبة من "سوفيا" وهى الحكمة ، ومن "اسطس" وهو الموه ، فمعناها حكمة مموهة ، وكل من له قدرة على التويه والمغالطة بالتول فى أى شئ كان ، سمي بهذا الاسم ، وقيل إنه سوفسطائى^(١) .

هناك غلط ومغالطة ، ما دام هناك جدل ومحااجة . فالتاريخ القديم سفسطته ، ولا تمل عنها سفسطات التاريخ المتوسط والحديث ، وفى المناقشات البرلمانية المعاصرة والمرافعات القضائية الحاضرة صور شتى للعب بالألفاظ والتويه على

(١) الفارابى ، احصاء العلوم ، القاهرة سنة ١٩٤٩ ، ص ٦٥

السامعين . وإذا كانت أثينا قد اشتهرت بسفسطتها في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، فما ذلك إلا لأنهم ليت بطائفة من المحترفين الذين حذقوا هذه السفسطة ، وعولوا عليها في كسب قوتهم ، وجدوا في أن يعلموها الناس ، وأضحوا خطرا على الفكر والمجتمع .

ولاشك في أن هذا هو الذى دفع أرسطو إلى دراسة هذه الظاهرة ، فحاول — كعادته — أن يجعل من التغليب والمغالطة بابا من أبواب العلم ، وأن يتف عليه رسالة من رسائله المنطية . وفي ضوء ما توفر لديه من مادة غزيرة أمده بها السوفسطائيون شاء أن يحصر الأغاليط حصرا علميا ، ويصنفها تصنيفا منطقيا فردها إلى : بابين رئيسيين : أغاليط لفظية ، وأخرى معنوية ، ووضع تحت كل باب أنواعا مختلفة . وهذه — وهى محاولة أولى في بابها — لا يمكن أن تنجى مكتملة ولا أن تسلم من النقد والملاحظة ، ومع ذلك قدر لها أن تبقى على الدهر ، وأن يؤخذ بها في التاريخ المتوسط والحديث ، ولا تزال حتى اليوم تفضل ما قام به مناةة آجرون من تصنيف للمغالطات .

وقد نقل كتاب "تبكيت السوفسطائيين" لأرسطو فيما نقل من كتبه المنطقية إلى اللغة العربية ، وتدارسه النلة وفلاسة الإسلام . وكان ابن سينا من أكثرهم عناية به توضيحا وتلخيصا ، ومن أوسع ما كتبه "فن السفسطة" من منطق "الشفاء" ويصدر فيه عن أرسطو محاولا أن يلائم بين أمثله وأوضاع اللغة العربية ، وإن كان لم يوفق في ذلك دائما ، لعدم إلمامه باللغة اليونانية ، وحرص خاصة على أن يربط السفسطة ربطا وثيقا بنظرية القياس التى تعتبر دعامة المنطق الأرسطى ، واقترح تصنيفا للمغالطات يقوم على ردها إلى مادة القياس ، وأصورته أوهما معا . وصادف هذا الاتجاه نجاحا من بعده لدى مناةة المسلمين والمسيحيين ، وهو — كما يبدو — أدخل في الأرسطية من تصنيف أرسطو نفسه

وكان فوسع ابن سينا أن يتأمل في الندوات والمحاورات الإسلامية المحيطة به ، وما أكثرها ، من ردود المعترلة على الدهريين والملاحدين ، وجدل المتكلمين ،

(ز)

ومجالس دعاة الإسماعيليين، وةأش الفقهاء والأدباء، وخصوصة النحاة واللغويين؛ وفي هذا ولا شك صور عربية خالصة من صور التأثير والإقناع ، أو التثويه والمغالطة ، وقد برز المعتزلة خاصة في الجدل أيما تبرير، وكان شيخهم العلاف مضرب المثل في ذلك . ولكن ما أغنى ابن سينا عن كل هذا ، وهو يجد لدى أرسطو ضالته المنشودة ، وكتاباه في ” السفسطة ” يضيف دليلا جديدا على مدى تقديره للفيلسوف اليوناني وإعجابه به .

*
* *

وقد تولى تحقيقه الدكتور أحمد فؤاد الإهوانى ، وله في النشر والتحقيق قدم راسخة، متأن، دقيق ، يستعرض القراءات المختلفة ويخير أحسنها ، ويجيد وضع الفواصل وعلامات الترقيم ، ويوضح الغامض من الكلمات، ويصحح الأعلام التي أخطأ النساخ في نطقها أو رسمها .

ولم يقف عند التحقيق، بل قدم له بمقدمة مسببة عرف فيها بكتاب ”تبكيث السوفسطائيين“ لأرسطو، ويئن كيف نقل إلى العربية ، وأشار إلى ما فيه من صعوبات لغوية وموضوعية ، ووازن بينه وبين ” كتاب السفسطة “ لابن سينا ، وكل ذلك في وضوح وتحليل . ونعتقد أن هذه المقدمة ستعين القارئ على فهم نص ينشر للمرة الأولى .

وإذا كنا ننوه بما بذل الدكتور الإهوانى في سبيل تحقيق ”كتاب السفسطة“ من جهد، وما تذرعه من صبر وجلد، فلأنا نأمل أن يتابع ذلك في أجزاء ”الشفاء“ الباقية التي لا تزال تتطلب تعاوننا وتضافرا .

مقدمة

١ - كتاب السفسطة لأرسطو :

وصل متعلق أرسطو إلى العرب في ترتيب معين ، ويشتمل على تسعة كتب :
إيساغوجي^(١) والمقولات ، والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجلد ،
والسفسطة ، والخطابة ، والشعر ، « السفسطة » هي الكتاب السابع ، وتقع
في « الأورجانون » بعد « الجدل » . وترتيب كتب أرسطو - بإجماع الآراء -
من وضع متأخر ، وليس من عمل المعلم الأول نفسه . وقد انتهى الباحثون المحدثون
منذ أكثر من قرن مضى ، أمثال "فأيتز"^(٢) Waitz ، و "بونتر"^(٣) Bonitz ،
إلى أن كتاب « السفسطة » ليس إلا ملحقا لكتاب « الجدل » ، وأن « الجدل »
إذا كان مؤلفا من ثمانية كتب فإن « السفسطة » تؤلف الكتاب التاسع
والأخير . ولم يظهر من المحدثين بعد ذلك من شك في هذه الصلة . وإذا كان
« الجدل » و « السفسطة » وحدة من جهة الموضوع ، وكانا يبدان كتابا
واحدا ، فإن تأليفهما لم يتم دفعة واحدة . ويرى "روس" Ross أن أجزاء
الجلد من الثاني إلى المقالة الثانية من السابع - أي التي تتعلق بالمواضع
الجدلية - هي التي ألقت أولا ، وأنها مأخوذة من المباحث التي كنت جارية
في الأكاديمية ، وأنها دونت قبل أن يهتدى أرسطو إلى نظرية القياس .

(١) اغوجي ، أو المدخل إلى المقولات ، من وضع فرنر بوس الصوري وليس من عمل
أرسطو ، ولكن العرب ضموه إلى الأورجانون - انظر الشفاء لابن سينا ، المدخل ص ٤ من المقدمة ،
المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٢

(٢) Waitz : *Aristoteles Organon secundum Leipsic*, 1844-1846, II, p. 528.

(٣) Bonitz : *Index Aristotelicus*, Berlin. 1870, 162 a.

أما الأجزاء : الأول ، والسابع من المقالة الثالثة إلى الخامسة ، والثامن ، نعى المقدمة والخاتمة ، فقد كتبت بعد اكتشاف القياس ، ولكن قبل تدوين كتاب التحليلات . وأما « السفسطة » فالأرجح أنه بعد « الجدل » وأسبق من « التحليلات » . ويصف « روس » السفسطة بأنه : « ملحق طريف للجدل »^(١) An interesting appendix . وإلى مثل هذا يذهب « روبان » Robin من اعتبار الجدل والسفسطة كتابا واحدا ، هو الجدل ، ويقول في ذلك : « وقد جرت العادة أن يذكر الكتاب التاسع والآخر من الجدل تحت عنوان متميز هو : تبكيت السوفسطائيين »^(٢) .

وحيث إن القدماء جروا على ترتيب مؤلفات أرسطو ترتيبا معيناً يبدأ بالمنطق — أو الأورجانون كما كان يسمى — ثم الكتب الطبيعية ، ثم ما بعد الطبيعة ، فقد وصل كتاب السفسطة إلى العرب منفصلا عن الجدل ، ومستقلا عنه ، ولم ينظر أحد منهم في مسألة زمان التأليف ، أو قضية الانتقال ، أو صلة الكتب والمقالات بعضها ببعض ، من جهة النقد الداخلي ، كما فعل المحدثون . وأُنذ كتاب السفسطة قائما بذاته ، واشتهر بذلك منذ ذلك الحين .

٢ — نقله إلى العربية :

ولم ينقل الكتاب من اليونانية إلى العربية مباشرة ، بل عن السريانية مثل معظم التراث اليوناني . قال ابن النديم في الفهرست في معرض الكلام عن كتب أرسطو ما نصه : « الكلام على سوفسطيقا ، ومعناه الحكمة الموهمة . نقله ابن ناعمة وأبو بشر متى إلى السرياني ، ونقله يحيى بن عدي من ثيوفيلي إلى

(١) Ross : *Aristotle*, London, 1949, 5th ed. pp. 56-61.

(٢) Robin : *Aristote*, Paris, 1944. p. 16.

العربي . المفسرون : فسرقويرى هذا الكتاب ، ونقل ابراهيم بن بكوش
العشارى ما نقله ابن ناعمة إلى العربي على طريق الإصلاح . وللكندى تفسير
هذا الكتاب «^(١) . ونقل القفطى هذا النص بتمامه عن ابن النديم .

وأثبت مخطوط أورجانون^(٢) أرسطو الموجود بالعربية أسماء النقلة ، مع ذكر
ترجماتهم المختلفة . ففى أول الكتاب نجد ما نصه : «سوفسطيقا . بنقل الفاضل
أبى زكريا يحيى بن عدى — أعلى الله منزلته — وبنقل أبى على عيسى
ابن اسحاق بن زرعة ، وبنقل قديم منسوب إلى الناعمى » منتهى فى كل صفح
ما نقله كل واحد وغيره من المعانى الثابتة فى ذلك الصفح » . ثم يبدأ الكتاب كما
يأتى : « نقل أبى زكريا يحيى بن عدى من السريانى ، بنقل أنانس من اليونانى .
كتاب تبكىت السوفسطائيين لأرسطوطاليس » . فلم يذكر المخطوط الموجود
بين أيدينا ” ثيوفيل “ الذى نقل الكتاب من اليونانى إلى السريانى ، ولكنه
ذكر شخصا آخر هو ” أنانس “ Athanase الراهب ، الذى طلب العلم فى دير قنسرين ،
وانتهى به المطاف إلى أن أصبح بطريق اليعاقبة فى نصيبين ، وتوفى حول عام ٦٩٦
ميلادية . أما ثيوفيل الراوى المتوفى حول ٧٨٥ ميلادية ، فقد ازدهر فى خلافة
المهدى . ويؤكد الدكتور خليل الجرار أنه نقل بعض أجزاء من أورجانون
أرسطو^(٣) . أما الذين نقلوا عن السريانية ومذكورة أسمائهم فتلاثة : يحيى
بن عدى ، وابن زرعة ، وابن ناعمة . وهناك نقل آخر لم يعرف صاحبه ،
ويذكر فى المخطوط بهذه العبارة ” نقل قديم “ أو ” ترجمة أخرى “ .

(١) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة القاهرة ص ٣٤٩ — طبعة ليكسك ص ٢٤٩

(٢) وصف الدكتور خليل الجرار هذا المخطوط الموجود بمكتبة باريس الأهلية وصفا دقيقا ،

وذلك بمناسبة تحقيقه كتاب المقولات على الترجمتين السريانية والعربية — انظر : Khalil Georr :

Les Catégories d'Aristote dans leurs versions Syro-Arabees . - Beyrouth, - 1948.

Ibid. p. 31. (٣)

وقد نشأ عن تمدد النقلة اختلافات في الترجمة ، من جهة الاصطلاحات ،
ومن جهة مقارنة العبارة للأصل . ونحن ذاكرون عنوان الكتاب مثالا
لهذه الاختلافات .

٣ - عنوانه :

جاء في الترجمة العربية لكتاب السفسطة عنوانات أربعة هي :

(١) « كتاب تبكيث السوفسطائيين » نقل يحيى بن عدي .

(٢) « كتاب سوفسطيكا ، أى التظاهر بالحكمة » نقل أبى على عيسى
ابن اسحاق بن زرعة .

(٣) « كتاب أرسطوطاليس فى التبصير بمغالطة السوفسطائية » نقل قديم
منسوب إلى الناعمى ، ولست أعلم من أى لغة نقله .

(٤) « كتاب أرسطوطاليس على مباحثة السوفسطائيين » ترجمة أخرى .

أما العنوان فى المخطوطات اليونانية حسب طبعة « بيكر » Bekker ، فهو

Ἐπὶ σοφιστικῶν ἐλέγχων

وهذا العنوان هو الذى نقل إلى اللغة اللاتينية ، مع الاحتفاظ بأصل الكلمتين

اليونانيتين ، فقيل Sophistici Elenchi

أما الترجمة الانجليزية فهي Refutations of the Sophists

وأما الترجمة الفرنسية فهي Réfutations des Sophistes

وأصح الترجمات العربية القديمة ، وأقربها إلى النص اليونانى ، ترجمة يحيى
ابن عدي ، والترجمة المجهول صاحبها ، ونعنى : « تبكيث السوفسطائيين » . ويحسن

أن نقف بعض الشيء ، عند لفظة " التبيكيت " لأهميتها في الدلالة على موضوع الكتاب ، ولأن فهمها على غير وجهها مدعاة إلى اللبس .

التبيكيت مصدر من الفعل الثلاثي « بكت » محركة ، أو من الرباعي « بكت » مشددة . فالتبيكيت محركة ، أى غلبه بالحجة ، يقال : « بكته حتى أسكتته » . والتبيكيت مشددة ، عنفه ، ومنه تبيكيت الضمير^(١) . وهذا المعنى الأخير هو المشهور المتداول اليوم . ولكن المقصود في هذا المجال هو المعنى الأول ، فالبا كمة مغالبة الخصم بالحجة وإخامه .

والذين قالوا بالمغالطة ابتدروا عن المعنى الأصلي للتبيكيت ، وعن عنوان الكتاب ، وذهبوا إلى ما يفعله السوفسطائي من منازعة خصمه رغبة في التغلب عليه . وكذلك الذين فسروا التبيكيت بأنه « التظاهر بالحكمة » ، أو « الحكمة الموهمة » ، فقد نظروا إلى موضوع الكتاب كما جاء في استهلاله ، حيث يميز أرسطو بين الحكمة الحقيقية والحكمة الموهمة . ومن هنا جاء في اللغة العربية أن السفسطة هي المغالطة ، وهى التمويه . ولكن المحقق المدقق ينبغي أن يفصل بين هذه الاصطلاحات الثلاثة ، لأن لكل منها معنى خاصا .

ولما كان ابن سينا قد اختار لعنوان كتابه لفظة « السفسطة » فقط ، فهذا دليل على إبعاده عن روح كتاب أرسطو ، الذى يدل على مغالبة السوفسطائيين بالحجة الصحيحة ، وإثارة أن يكون موضوع الكتاب هو البحث فى الإغاليط التى يمكن أن يقع فيها المفكر ، وكيف يمكن أن يعمل على التوقى منها . وهذا هو الذى انتهى إليه مبحث المنطقة فى الشرق والغرب على السواء .

(١) عن أقرب الموارد ، والقاموس .

ضربنا المثل أن كل ناقل من الأربعة وضع للعنوان ترجمة تختلف عما وضعه الآخر. وإذا كان هذا هو الحال في العنوان ، فإن ترجمة الكتاب كله تفصح عن اختلافات تدل على كثير من الصعوبات التي عجز النقلة عن حلها — لأنها لا تحمل — مما أدى إلى غموض النص العربي في كثير من المواضع . ويرجع ذلك إلى صعوبة النص في أصله اليوناني ، ثم في ترجمته السريانية ، وإلى أن أرسطو يستشهد بأمثلة من أسرار اللغة اليونانية تؤدي إلى اللبس والإبهام والتضليل ، فإذا ترجمت إلى العربية لم يتضح وجه المغالطة فيها لاختلاف طبيعة اللغتين . من هذا ما ذكره أرسطو ^(١) من أن معظم المشاغبات الظاهرة ترجع إلى لفظة ” هذا “ τόδε ، وكذلك حين لا يدل حرف الإشارة على المذكر أو المؤنث . وضرب مثلا بأسماء ثلاثة تختلف في التذكير والتأنيث هي :

كاليوب ، وخشب ، وقورسيفوس ، كاليوب مؤنث ، وقورسيفوس مذكر ، وخشب لا مذكر ولا مؤنث ؛ ويتبع ذلك تصريح الكلمة ووضعها في العبارة . ولا حاجة بنا إلى ذكر كل ما ورد في نص أرسطو ؛ ولكننا نشير إلى أن التراجم العربية القديمة لم يستطع أصحابها إلا أن يضعوا اللفظة اليونانية بحروف عربية فيقولون : ” طوطو “ ؛ وكذلك الترجمة الفرنسية فإنها تضع هذه الألفاظ باليونانية ، نعى ” هذا “ وأوضاعها المختلفة باختلاف طبيعة الكلمة ، وطبيعة العبارة ؛ مثل τοῦτο و οὗτος و τοῦτον ؛ لأنها لا تترجم . أما ابن سينا فقد ضرب صفحا عن هذا الموضوع ، ولم يشر إليه في كتابه .

(١) ١٧٣ ب ، ٢٥٤ — ٤٠

وقد فطن ابن سينا لهذا الفرق بين اللسانين ؛ وشق عليه أن يفهم الأمثلة المضروبة في اليونانية ، كما جاء في هذا المثال الدال على الغلط لاختلاف مفهوم التركيب . ونحن ننقل ما ذكره ابن سينا : ” العدو لى يتغصب ، والمقاوم لى يأخذ . وهذا مثال يحسن في غير لغة العرب . . . “^(١) وأصل المثال في نص أرسطو^(٢) τὸ βούλεσθαι λαβεῖν μετὰ Πολυμίας وهو في الترجمة اللاتينية Velle capere me hostes ، وهذه العبارة قد تفهم على وجهين إما me capere hostes وإما hostes capere me . والمعنى ” ادع لى أن أقبض على العدو “ . ومن هنا جاءت قراءتنا للفظة ” يتغصب “ أى يؤخذ قهرا .

ولا نريد أن نتبع جميع المواضع التى لم يحسن الشيخ الرئيس فهمها ، فليس هذا غرضنا ، وبخاصة لأن كتابه ليس ترجمة لنص أرسطو . إنما الذى نريد أن نبينه هو أن كتاب أرسطو في السفطة من الكتب الدقيقة التى لا يمكن أن تفهم حق الفهم إلا إذا كان الباحث ملما باللغة اليونانية . إنما يمكنه من الاطلاع على الأسرار اللغوية التى يرمى إليها المعلم الأول . أما كتب أرسطو المنطقية الأخرى كالمقولات أو التحليلات ، فلا أنها تبحث في أصول عامة ، وفي قوانين الفكر مع قطع النظر عن الاعتبارات اللفظية ، فقد أمكن للعرب أن ينقلوها ، وأن يحسنوا التعليق عليها ، ويشرحوها ، على خلاف كتاب السفطة الذى لم يتناوله ابن سينا بالإفاضة ، كما فعل في الكتب السابقة .

(١) السفطة ، ص ١٠

(٢) ١٦٦ ، ٧ — وفي الترجمات القديمة العبارة غير مفهومة كذلك ، ففى نقل يحيى بن عدى ” ألا يريدون أن يأخذوا للعرب “ . وفى نقل ابن زرعة ” يريدون للمقاوم لى يأخذون “ .

أضف إلى ذلك أن أرسطو أنف كُتبه للرد على السوفسطائيين الذين كانوا حقيقة واقعة في زمانه، وكانت لهم ، وبخاصة في عصر سقراط وأفلاطون، فلسفة وأدب واتجاهات يتميزون بها دون غيرهم . فالكتاب ملائم لروحهم ، أو هو مرآة للحياة اليونانية في ذلك العصر . يفهمه اليوناني ، ويجد غير اليوناني صعوبة في فهمه . ولهذا السبب نفسه كان من الصعب نقل كتاب الشعر لأرسطو ، وذلك لاتصاله بالأدب اليوناني وخصائصه المباشرة للأدب العربي .

٥ — موازنة بين كتابي أرسطو وابن سينا :

وضع ابن سينا لنفسه بإزاء أرسطو خطة تجمع بين الاتباع والابتداع ، ودستورا ينص على المحاذاة ولا يمنع المباراة . فقد صرح في مقدمة " الشفاء " بحسب عبارته : « واجتهدت في اختصار الألفاظ جدا ، ومجانبة التكرار أصلا . . . ولا يوجد في كتب أقدماء شيء يعتد به إلا وقد ضمناه كتابنا هذا وقد أضفت إلى ذلك مما أدركته بفكري ، وحصلته بنظري ، وخصوصا في علم الطبعة وما بعدها ، وفي علم المنطق » ^(١) . وفي موضع آخر : « ولما افتتحت هذا الكتاب ابتدأت بالمنطق ، وتحريت أن أحاذي به ترتيب كتب صاحب المنطق ، وأوردت في ذلك من الأسرار واللطائف ما تخلو عنه الكتب الموجودة » ^(٢) . ويؤيد ذلك تلميذه الجوزجاني حيث يقول : « وهناك اشتغل بالمنطق ، وتمكن من الكتب ، فعرض من ذلك أن حاذاها ، وجرى على ترتيب القوم فيها ، وتكلم على ما استذكره من أقوالهم ، فطال المنطق » ^(٣) .

(١) ابن سينا ، الشفاء ، المدخل ، الطبعة الأميرية ، ١٩٥٢ ، ص ٩ — ١٠

(٢) المرجع السابق ، ص ١١

(٣) المرجع السابق ، ص ٣

وفي موضع آخر : ”وسيجد المتأمل لهذا الكتاب بعين الاعتبار من النكت والنوادر والتفريعات والبيانات ما لا يحجده في كتب السالفين « (١) .

أما الاتباع والمحاذاة فليس ذلك قاصرا على ترتيب الكتب المنطقية ، بل على ترتيب الموضوعات في داخل كل كتاب . ويكاد يكون كتاب ”السفسطة“ تلخيصا أميناً ، وإيرادا للأمثلة ذاتها اتى ذكرها أرسطو . ويعترف الشيخ في آخر الكتاب بأن المعلم الأول أوفى على الكمل ، ودعا الناس إلى تأمل : « ما قاله هذا العظيم ... هل ورد من بعده إلى هذه الغاية من أخذ عليه أنه قصر ، وهل نبغ من بعده من زاد عليه في هذا الفن زيادة « (٢) . فليس لنا بعد ذلك أن نتظر منه خروجاً على تعاليم أرسطو ، أو ”شق عصاه“ في الشفاء .

أما الابتداع والمباراة فيمكن تلخيصها في هذه العبارات اتى نقلها عن ابن سينا : « وأما مقاومة السوفسطائيين فلم يوف السالفون منها شيئاً يعتد به ، أقللة الحاجة إليه ؛ بل لم يكن عندهم منها شيء لا في الأصول ولا في الجزئيات نزلها إليهم أصلاً . ومع ذلك فإن الحاجة قلت إلى صناعة السوفسطائية ، فلم يتم عقودها فضلاً عن حلولها ، بل تكلموا في أمثلة قليلة جزئية ، وأشياء تناسب الخطابة . لكننا بسطنا القول قليلاً ، ونظرنا في وجوه الأفايط ، وجمعناها ، وجردناها صناعة كلية « (٣) .

يفخر ابن سينا في هذه العبارات أنه جعل السفسطة ”صناعة كلية“ ، لا مجرد رد على السوفسطائيين ، باعتبار أن الحاجة قلت إلى مثل ذلك . وهو

(١) المرجع السابق ، ص ٤

(٢) السفسطة ، ص ١١٤

(٣) السفسطة ، ص ١١٢

يلتقى مع أرسطو في هذا المعنى الذى سبق أن نص عليه المعلم الأول في خاتمة كتابه ، ولكنه يضيف إليه ، ويفترق عنه بجعل الأغاليط صناعة كلية . ذلك أن أرسطو يعترف بأن السوفسطائيين مهدوا الطريق لفن الخطابة ، وضرب مثلا بأسياس ، وثراسيماخوس من بعده ، وثيودورس من بعد ثراسيماخوس ، « على العكس فيما يختص بهذا البحث — يريد السفسطة — فلا يمكن القول إن بعضه كان موجودا من قبل ، وبعضه الآخر لم يكن موجودا ، إذ لم يوجد في الواقع شيء منه أصلا »^(١) . ولكن أرسطو يلحق السفسطة بالجدل ، على حين يجردها ابن سينا صناعة كلية . ويبدو أنه محق في قوله ، لأن فلاسفة العرب السابقين عليه ، وأبرزهم الكندى والفارابى ، لم يؤثر عنهما وضع أساس هذا الفن السوفسطائى جزءا من جملة المنطق . حقا ألف الكندى كتابا " في الاحتراس عن خدع السوفسطائية " ^(٢) ، وجاء عند الكلام على كتب أرسطو أن "للكندى تفسير هذا الكتاب" ^(٣) . وللفارابى كذلك " كتاب شرح المغالطة " و " كتاب المغالطين " ^(٤) ، غير أن هذه الكتب مفقودة ، ولذلك لا يمكن الحكم أقام الكندى والفارابى مجرد تفسير لسفسطة أرسطو ، أم كن لهما رأى مستقل . مهما يكن من شيء فإن كليهما مقل لا يميل إلى الإطناب ، كما نعرف من كتبهما الباقية بين أيدينا . هذا إلى أن مؤرخى العرب نقدوا الكندى بأنه لم يحسن فهم منطق أرسطو ^(٥) ، وورث ابن سينا فلسفة الفارابى وتقدم بها إلى الأمام ، ويسرها على الأنفهام .

(١) سفسطة أرسطو ١٨٣ ب ٣٣ — ٣٦ — وفي الترجمة القديمة " فأما هذه الصناعة فليس إنما كان بعضها موجودا وبعضها غير موجود ، لكن لم يكن منها شيء موجود ألينة " انظر منطق أرسطو — ص ٣٠ — ١٠١١

(٣) المرجع السابق ص ٣٧

(٢) القفطى طبه أوروبا ص ٣٦٩

(٥) القفطى ص ٣٦٧ — ٣٦٨

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٩ — ٢٨٠

وإذا وازنا بين كتابي المعلم الأول والثالث رأينا خلافا في الحجم وترتيب
الفصول . يقع كتاب أرسطو في أربعة وثلاثين فصلا ، ويبدأ بالفرق
بين القياس والتبكيك ، ويتهى بخاتمة عامة . أما ابن سينا فقد قسم كتابه
مقالتين ، وضع تحت الأولى أربعة فصول ، وعت الثانية ستة . ومع ذلك
ليس الخلاف إلا ظاهرا فقط ، لأن ما فعله ابن سينا هو إدماجه بعض
الفصول في بعضها الآخر . أما نسق التأليف فإنه مطابق لما جرى عليه
أرسطو ، ذلك النسق الذى يبدأ بتعريف التبكيك والفرق بينه وبين القياس
الصحيح ؛ ثم يان أنواع الاستدلال البرهانى والجدلى والامتحانى والمشاغبي ؛
ثم الأغراض الخمسة للقياس السوفسطائى ؛ ثم التبكيك الداخلى فى اللفظ
والداخلى فى المعنى ؛ ثم طريقة حل المغالطات . وعلى هذا الترتيب سار
الشيخ فى كتابه .

وفرز آخر بين الكتابين أن ابن سينا ينبرى للدفاع عن أرسطو ،
ويفالى فى التعصب للشائية ، ويسط لسانه فى أفلاطون ، والذين يتبعون
مذهبه . نقول : ”يسط لسانه“ ونحن نعى ذلك ، إذ يكفى أن تتأمل
ما قاله فى الفصل الأول فى صدر الكتاب : « ولقد رأينا وشاهدنا فى زماننا
قوما هذا وضعهم ، فإنهم كانوا يتظاهرون بالحكمة ، ويقولون بها ، ويدعون
الناس إليها ، ودرجتهم منها سافلة ... وكثير منهم لما لم يمكنهم أن ينتسب
إلى صريح الجهل ، ويدعى بطلان الفلسفة من الأصل ... قصد المشائين
باللب ، وكتب المنطق والبانين عليها بالعيب ، فأوهم أن الفلسفة أفلاطونية ،
وأن الحكمة سقراطية ، وأن الدراية ليست إلا عند القدماء من الأوائل» (١) .

ويدو أن ابن سينا كان يتنهر الفرصة ليطعن على معاصريه ومنافسيه من الفلاسفة الذين يعارضون المشائية ، يأخذون بالأفلاطونية . غير أن تاريخ هذا العصر مع الأسف مجهول وغير واضح ، ولسنا نعرف على التحقيق من هم أولئك الأفلاطونيون المعاصرون للشيخ ، ولو أنه في إحدى رسائله إلى أبي جعفر الكيا يفصح عن أنهم جماعة من البغدادية ويصفهم بالضعف والجهل والتقصير ويقول عنهم : ” البله النصارى من أهل مدينة السلام ” (١) . وفي رسالة للشيخ ” إلى علماء بغداد يسألهم الإنصاف بينه وبين رجل همذان يدعى الحكمة ” يزعم ابن سينا أنه صادف بمدينة همذان : « شيخا وافر العلم ، إلا أنه لما اكتشف مذاهبه صادفها غريبة عجيبة مبينة لما فهم عن الأقدمين . أما المنطق فنطق آخر... وإذا تكلم تكلم بنوع آخر من المقائيس يراها منتجة لمطلوبها ، وهى غير منتجة لها بالفعل ولا بالقوة القريبة... » (٢) . غير أننا نجهل شخصية هذا الهمذانى الذى أخذ من أفواه ” معشر الحكماء بمدينة السلام ” .

الذى يعنينا أن أرسطو لم يتعرض لأفلاطون فى كتابه ، ولو أنه ذكر سقراط فى آخر الكتاب بمناسبة طريقته اتى كان يتبعها من سؤال محاوره دون أن يجيب هو زاعما أنه جاهل ، وكان غرضه إيقاع محاوره فى التناقض . ومع ذلك لم يذهب أرسطو إلى أن سقراط كان مغالطا .

أما ابن سينا فإنه يتعرض لأفلاطون ، ويصرح باسمه ، فى افتتاح المقالة الثانية يقول : « قال المعلم الأول : والذى يؤثره بعض الناس من قسمة الأقاويل — ويعنى به أفلاطون — أن بعضها موجود بحسب الاسم ،

(١) انظر عبد الرحمن بدوى — أرسطو عند العرب ، ١٠٦ ، ١٩٤٧ ص ١١٩ — ١٢١

(٢) يحيى مهدوى ، فهرست مصنفات ابن سينا ، تهران ١٣٣٣ ، ص ١١٨

وبعضها بحسب المفهوم...»^(١). ويقول بعد ذلك بقليل : « وأما من فعل فعل أفلاطون فأخذ يتكلم في السوفسطيقي ، ولم يحصل القياس أولا ، فقد عمل هذرا »^(٢) . ويبدو أن ابن سينا لم يفتن إلى أن محاوره « السوفسطائي » لأفلاطون ليس الغرض منها الكلام في السفسطة وبيان وجوه الأغاليط ، وظن أنه ما دام عنوانها كذلك ، فكان ينبغي على أفلاطون أن يتكلم فيها عن المغالطات ، كما فعل أرسطو في كتاب السفسطة . ويؤيد ذلك ما ذكره ابن سينا في ختام الكتاب حيث يقول : « والذي عمله معلمه وسماه « سوفسطيقا » حاد فيه عن الواجب ، وقصر عن الكفاية . أما الحيد فخطئه المنطق بالطبيعي والإلهي ... »^(٣) . وقد غاب عن بال ابن سينا أن محاورات أفلاطون كانت تلبس بـ « ورة فنية خادعة ، وكان يتنقل فيها من موضوع إلى آخر بحيث يصعب الأخذ بافتتاح المحاوره أو اسمها دليلا على موضوعها . هذا إلى أن عنوان المحاوره هو السوفسطائي ، لا السوفسطيقا كما وهم ابن سينا ، وهي تبحث في منهج القسمة الذي كان متبعا في الأكاديمية . ولعل الشيخ الرئيس أراد أن يأخذ جانب أرسطو الذي اكتشف القياس ، فغالى في الطعن على أفلاطون ، ولذلك قال إن الشغل يجب أن يكون « مصروفا إلى أن يعلم ما القياس الحق ، وما المظنون . فهذه الأشياء إنما ينحو بها المعلم الأول نحو إبانة أن الرجل الذي يدعى أنه معلمه لم يحسن الكلام في المنطق على الوجه الذي يجب ، ولا بين المغالطات البيان الذي ينبغي . وقد صدق : فإن معلمه تليل الإجداء فيما يصفه ويضعه في العلوم المنطقية »^(٤) . والمقصود « بالرجل الذي يدعى أنه معلمه » أفلاطون ، وهذه طريقة ابن سينا للخط من شأن مخالفه .

(٢) السفسطة ، ص ٥٠

(١) السفسطة ، ص ٤٥

(٤) السفسطة ، ص ٥٦ — ٥٧

(٣) السفسطة ، ص ١١٤

وكما جاء موضع لم ينص فيه أرسطو على صاحب الرأى ، نسبة ابن سينا إلى أفلاطون . كما يقول : « وقد حكى المعلم الأول أن بعض الناس — وأظنه يعنى المدعى له أنه معلمه — حل ذلك بأن قال : فرق بين قولنا يفعل بحسب ما يمكنه ، وقولنا : إنه يفعل لا محالة بحسب ما يمكنه شيئا »^(١) . وابن سينا منطى فى ظنه أن أفلاطون هو صاحب الحل ، لأن كتاب السفسطة لأرسطو من تأليفه المتأخرة التى كتبها — كما ذكرنا — بعد اكتشافه القياس ، وبعد مرت أفلاطون . ولم تكن هذه المسائل المنطقية مما تناولها البحث فى الأكاديمية .

وفرق ثالث بين الكتّابين أن أرسطو كان قريب عهد بالسوفسطائيين ، ومن المأثور أنه كان يلقي وهو يطلب العلم فى الأكاديمية دروسا فى الخطابة يعارض بها مدرسة "إسقراط" وأغراضه ومنهجه ، وكان إسقراط قد ورث الغرض والطريقة عن شيوخه من أمثال جورجياس وبروتاجوراس . فالكتاب إحصاء جامع لتمويه السوفسطائيون وخدعهم ، والطمع على طريقتهم فى التعليم ، أولئك السوفسطائيين الذين كانوا يتناولون الأجر على التعليم ، ويدربون تلاميذهم على المشاغبة والمماراة ، ويلقنهم نماذج محفوظة يزجون بها على الخصوم ، مما هو شبيه بفن جورجياس^(٢) . ومن أجل ذلك قسم أرسطو المغالطات قسمين : لفظية ومعنوية ، وكانت المغالطات الناشئة عن استعمال الألفاظ المشتركة من أعظم ما يعتمد عليه السوفسطائيون . وهذا هو السبب فى أن سقراط بدأ بامتحان الألفاظ ، وتحليل المعانى الكلية ، للوصول إلى الحق الثابت . ومن هنا نشأت جماعة تذهب إلى أن جميع أنواع المغالطات يمكن ردها إلى الألفاظ ، وقد ناقضهم أرسطو ، وتبعه ابن سينا فى ذلك .

(١) السفسطة لأرسطو ١٨٣ ب ٣٠ — ٣٧

(٢) السفسطة ، ص ٨٧ . وانظر أيضا ص ٥٦ ، ٩٥

ولما كان جو كتاب أرسطو مشعبا بالرد على السوفسطائيين ، وكانت طريقة السوفسطائيين هى الخطابة والمحاورة ، فإن معظم الأمثلة التى يضربها أرسطو تلائم هذا الجو ، نعى جو الحوار بين شخصين ، فإذا سلم المحيب بما يضعه السائل من مقدمات ، فقد وجب أن يسلم بالنتيجة اتى تفضى إليها هذه المقدمات .

ولم يكن فى زمان ابن سينا سوفسطائيون ، ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى هذا النوع من التأليف . ومع ذلك فقد ظهرت فى الإسلام جماعة أخرى يختلف أصحابها عن السفسطائيين من جهة أغراضهم ومنهجهم ، ولكنهم يفترون وإياهم فى التميز عن الفلاسفة . وهؤلاء هم المتكلمون فى الإسلام ، واللاهوتيون فى المسيحية . وقد صرح ابن سينا فى خلال كتابه بأن : « هذا هو الرسم فى زماننا هذا عند المشاغبة الذين يسمون متكلمين »^(١) . وذلك عند الكلام عما يفعله السائل المغالط من غلط فى الكلام حتى تخفى النتيجة . وهذا هو الموضوع الوحيد الذى تعرض فيه الشيخ للتكلمين بالظن ، وسماه مشاغبة .

ثم إن أرسطو كان يمارض بكتابيه جماعة أخرى خلاف السوفسطائيين ، هم أصحاب الجدل بمعنى الكلمة ، ونعى بهم الإيليين ، وأبرز ممثلهم زينون الذى حيرت حججه فلاسفة زمانه ، وهى حجج مشهورة معروفة فى امتناع الحركة والكثرة ، والاعتماد على فكرة انقسام المكان والزمان إلى ما لا نهاية له ؛ وكان لا بد أن تدحض هذه الحجج بالمنطق ، وأن يبين فسادها ببيان المغالطات فى القياس . وهذا ما فعله أرسطو ، وضرب المثل فعلا بزینون فى أكثر من موضع . وهذا هو السبب الذى من أجله ألحق كتاب السفسطة بالجدل ، لأنه

(١) السفسطة ، ص ٧٥

يبين فساد الأقيسة التي تعتمد على مقدمات مشهورة وليست يقينية . ونحن نعلم أن أرسطو قسم الاستدلال أربعة أنواع : البرهاني ، والجدلي ، والامتحاني ، والمشاعبي . ولكن الجدلي والامتحاني لا يخصان أى علم معين ، بل ينطبقان على كل شيء ، لأن جميع الصناعات تستخدم مبادئ مشتركة . ومن ثم كان جميع الناس ، حتى العامة والجهال ، يستخدمون هذين الضربين من الاستدلال الجدلي والامتحاني ، وهم يستخدمون تبعاً لذلك التبكيث^(١) . وهذا هو السر الحقيقي في إلحاق كتاب السفسطة بكتاب الجدل . وكان هذا العمل من أرسطو رد فعل على السوفسطائيين الذين أفسدوا بالخطابة عقول اليونانيين ، وأدى منهجهم العقلي إلى اعتقاد آراء فاسدة في الأخلاق والسياسة . ولم تكن هذه الظروف الاجتماعية موجودة في زمان ابن سينا ، فقد انقضى عهد السوفسطائيين من قديم ، وانتقلت الفلسفة من الحوار الشعبي في الأروقة والملاعب والبساتين ، وانحصرت في داخل جدران المدارس ، وأصبحت صناعة فئة خاصة تتدارس في الكتب . إنها الفلسفة المدرسية التي تعتمد على احتذاء كتب أرسطو بوجه خاص وتتبعها بالشرح والترتيب لغرض التعليم والتلقين . وفي هذا الجو الجديد ينبغي أن نفهم كتاب السفسطة لابن سينا ، فيتسنى لنا أن نفهم ما ذكره من قبل من أنه نظري وجوه الأغاليط ، وجمعها وجردها عن المواد صناعة كلية . وبذلك أصبحت السفسطة باباً من أبواب المنطق في جملته ، لا مجرد ملحق للجدل .

وابن سينا هو فيما نعرف أول منطقة العرب الذين وضعوا السفسطة هذا الموضع من المنطق ، ثم جرى العرف على ذلك إن في الشرق أو الغرب حتى الآن .

(١) السفسطة لأرسطو ١١٧٢ ، ٢٠ — ٤٠ وما بعدها

٦ - أنواع المغالطات :

قسم أرسطو المغالطات قسمين : لفظية ومعنوية ، وظل تقسيمه عماد المناطق منذ عهده حتى الفلسفة الحديثة ، حين حازل جون ستيورات "ميل" أن يقسم المغالطات قسمة جديدة ؛ وكذلك حاول غيره . ومع ذلك لا يزال تقسيم أرسطو مأخوذا به باعتبار أنه أفضل ما أمكن الوصول إليه . فقد رأى المتأخرون من المناطق - كما يقول "روس" - أنه من الضروري اتباع الخطوط الرئيسية في علاجه للموضوع ، وعند ما حاولوا الانحراف عن هذه الخطوط لم يصلوا إلى نتيجة أفضل^(١) . ولا تزال كتب المنطق حتى اليوم تأخذ بما وضعه المعلم الأول ، وتستعمل الاصطلاحات التي وضعها ، ولو أنها تقتصر من أنواع المغالطات التي ذكرها أرسطو على أهمها^(٢) .

وسوف نذكر قائمة هذه الأنواع ، مع ذكر الاصطلاح الذي استعمله ابن سينا ، وما يقابله باليونانية ، وباللاتينية .

Παρά τὴν λέξιν (١) التبكيك الداخلي في اللفظ

Fallaciae in dictione

Παρά τὴν ὁμωνυμίαν (١) اشتراك الاسم

Aequivocatio

Παρά τὴν ἀμφιβολίαν (٢) الممارة

Amphibologia

Παρά τὴν σύνθεσιν (٣) التركيب

Compositio

(١) Ross : *Aristotle*, p. 61

(٢) انظر مثلا Morris Cohen and Ernest Nagel, *An Introduction to Logic and*

-Scientific Method-, London, 1949.

Παρά τὴν διαίρεσιν (٤) القسمة

Divisio

Παρά τὴν προσωδίαν (٥) الإعجام

Accentus

Παρά τὸ σχῆμα τῆς λέξεως (٦) شكل اللفظ

Figura dictionis

ἔξω τῆς λέξεως (ب) المناطات التي تقع بحسب المعاني

Fallaciae extra dictionem

Παρά τὸ συμβεβηκός (١) ما بالعرض

Accidentis

Παρά τὸ ἀπλῶς ἢ λέγεσθαι (٢) سوء اعتبار الحمل

A dicto secundum quid ad dictum simpliciter

Παρά τὴν τοῦ ἐλέγχου ἄγνοιαν (٣) قلة العلم بالتبكيث

Ignoratio Elenchi

Παρά τὸ ἐν ἀρχῇ λαμβάνειν (٤) المصادرة على المطلوب الأول

Petitio Principii

Παρά τὸ ἐπόμενον (٥) ليهام عكس اللوازم

Consequentis

Παρά τὸ μὴ αἷτιον ὡς αἷτιον (٦) جدل ما ليس بعلة علة

Non causa pro causa

(٧) جمع المسائل الكثيرة في مسألة واحدة

Παρά τὸ τὰ δύο ἐρωτήματα ἐν ποιεῖν

Plurium Interrogationum

لاحظ أرسطو نفسه أن تصنيفه ليس كاملا ، لأنه لم يستوف جميع أنواع المغالطات ، ويرجع ذلك إلى أن عدد العلوم لا يتناهى ، هذه العلوم اتى تستند إلى الاستقراء . وفى ذلك يقول : « لا ينبغي أن نحاول إحصاء عدد المواضع اتى تقوم عليها مغالطة من زوم ردهم قبل أن يتم لنا العلم بكل شئ . غير أن هذه المعرفة الكلية لا يمكن أن تكون موضوعا لتعليم واحد ، إذ مادام عدد العلوم لا يتناهى ، فبراهينها لا تتناهى كذلك »^(١) يريد أن يقول إنه من المستحيل قبل أن نبلغ العلم الكلى والبراهين الكلية أن نحصى فى كل علم أغاليط أولئك الذين نبغى تبكيثهم . وهذا الاحصاء عمل فوق طاقة الإنسان . لذلك ينبغي الاقتصار على المبادئ المشتركة المتصلة بالجدل ، لأن الجدل هو العلم الخاص بهذه المبادئ^(٢) . وهذا المعنى هو الذى بسطه ابن سينا بقوله : إن العلم بالجزئيات لا يتناهى ، أو بحسب عبارته : « ولا تظن أن هذه القوانين إنما تم لك إذا علمت كل موجود ، ونظرت فى كل خطأ وصواب ، فإن ذلك لا يتناهى . بل إنما تم لك إذا علمت الأصول والقوانين اتى تنترع من أمورها ، وتكون سائرهما على قياسها . وأنت تعلم أن الجزئيات من التبكيثات البرهانية والجدلية غير متناهية »^(٣) .

وحاصل كلام أرسطو ، ثم ابن سينا من بعده ، أن المغالطات تنحصر أو يمكن أن تنحصر فى القياس ، ولا يمكن ذلك فى الاستقراء . ولذلك عند ما أراد "جون ستيوارت مل" أن يضع أساسا جديدا للمغالطات نظر إلى الاستقراء ، وهو

(١) الفصل التاسع ١٧٠ ، ٢٠٤ — ونجرب ترجمة يحيى بن عدى كما يأتى : « فاما سائر وجوه التبكيث والتجيين فى الكلام فليس ينبغي لنا أن نتعاطى معرفتها قبل العلم بجميع الأشياء ، وذلك لا يكون لصناعة واحدة ، وذلك أن الصناعات كثيرة وبغير نهاية »

(٢) من تعليق " تريكو " فى ترجمته لسفسطة أرسطو .

انظر Aristote : *Organon* VI, Traduction par Tricot, Paris, 1950, p. 39.

(٣) السفسطة ، ص ٤٠

منهج البحث الموصول إلى كسب العلوم المختلفة . ويرجع ذلك إلى اختلاف المذهبين اللذين يقيم عليهما أرسطو و"مل" منطقيهما . ذلك أن فلسفة أرسطو عقلية تستمد الحق من المبادئ الأولى الموجودة في العقل ، وفلسفة "مل" حسية تعتمد على المشاهدات والتجارب . ومن هنا وضع "مل" تقسيمه للأخطاء على أساس الاستقراء الذي يبدأ بالملاحظة ، ثم بالتعميم للوصول إلى القوانين العلمية ، وكان أهم المغالطات عنده هي تلك الأخطاء الخاصة بالملاحظة Fallacies of observation ، وهي أخطاء تتلاءم مع النظرة التجريبية للعلم^(١) . والحال كذلك في المنطق الرياضي الحديث ، ففيه مغالطات تختص به ، وتتلاءم مع هذا النوع من المنطق . فإذا كان أرسطو قد اعترف بأن تصنيفه ليس كاملا ، فذلك يرجع إلى بناء منطق على مذهب ميتافيزيقي معين ، هو الذي أخذ به ابن سينا .

الملاحظة الثانية على تصنيف المغالطات ، هي إمكان اعتبار المغالطة الواحدة واقعة تحت أكثر من قسم . وقد فطن أرسطو إلى ذلك فضرب مثلا بالتبكيث الناشئ عن سوء اعتبار الحمل ؛ كقولنا إن الشيء قد يكون ضيفا وليس ضعفا في آن واحد ؛ وذلك إذا أخذنا الضعف مع اختلاف الزمان ، أو تارة باعتبار الطول وأخرى باعتبار العرض ؛ وهذا النوع من المغالطة يمكن أن يدخل في المغالطات اللفظية^(٢) . ويعترف ابن سينا كذلك بأن المغالطة الواحدة يمكن اعتبارها تحت أكثر من قسم . مثال ذلك عندما تكلم على قلة العلم بالتبكيث ، قال : «ولا يبعد أن يدخل هذا الموضع في المغالطات اللفظية ، من جهة أن المغالطة وقعت في اللفظ لتقصير فيه وإيهام معنيين ، وإن كان قد يدخل في المغالطات في القياس ،

(١) انظر Joyce, Principles of Logic و Mill, System of Logic

(٢) أرسطو ١١٦٧ ، ٢٥ — ٣٥

من جهة أن القياس فيه على غير المطلوب^(١) . وهذا يوافق ما ذهب إليه أرسطو حين زعم أن جميع أنواع المغالطات يمكن أن ترد إلى نوع واحد هو الجهل بالتبكيك Ignoratio Elenchi^(٢) . وقد كتب كثير من المحدثين يتقدون تصنيف أرسطو، فقال الدكتور إبراهيم مدكور : إن من عيوب هذا التصنيف ذكر أنواع من المغالطات ليست جارية في الاستعمال، وإغفال أنواع أخرى على شيء من الأهمية، وأرسطو نفسه يعترف بأنه ربما كانت هناك مغالطات غير التي أشار إليها ، وفوق ذلك هو تصنيف متعسف، ويمكن رد جميع الأنواع إلى الجهل بالتبكيك ؛ إلى أن قال : « إن ابن سينا بدلا من تعديله تصنيف أرسطو يعتمد عليه ، ويدور حوله ، ولا يضيف إليه جديدا . وقد حاول بعض المناطق المحدثين أن يضعوا تصنيفا جديدا للمغالطات يخالف ما وضعه أرسطو، ولكنهم قل أن يصلوا إلى نتيجة أكثر إرضاء^(٣) » .

ويرجع اضطراب أرسطو إلى أنه نظر إلى المغالطات من زوايا متعددة . فهو يبدأ كتابه بقسمة الاستدلال قسمين حق وظاهر ، وأن السفسطة هي الاستدلال الذي يبدو عليه ظاهر الحق ، وليس حقا ؛ وذلك إما عن قصد وتمويه من السوفسطائي للمغالط ، وإما عن جهل بالقياس الصحيح المنتج . وفي الفصل السادس يضيف إلى هذا الأساس في المغالطات أساسا آخر هو الجهل بالتبكيك . وقبل ذلك فقد اتخذ أساسا ثالثا هو قسمة المغالطات قسمين أحدهما لفظي ، والآخر خارج اللفظ أو معنوي .

(١) السفسطة ، ص ٢٢

(٢) الفصل السادس ١٦٨ ، ١٦٠ - ٢٠

(٣) Madkour, *L'Organon d'Aristote dans le monde arabe*, Paris, 1934,

وقد أورد ابن سينا جميع هذه الأسس، ولكنه استبعد منها، وبطريقة حاسمة، أن جميع أنواع المغالطات يمكن ردها إلى الألفاظ. وبذلك تنحصر المغالطات في الجهل بالقياس الصحيح، وهو الاتجاه الذي انتهى إليه في كتبه الأخرى مثل النجاة والإشارات، مما يجعل السفسطة جزءا من المنطق في جملته، لاملحقا للجدل. والتصنيف الجديد الذي ذهب إليه في كتبه المتأخرة يقسم المغالطات قسمين: صورية ومادية. أما الصورية فترجع إلى تركيب القياس وأنه غير متعج، وأما المادية فترجع إلى كذب المقدمات. وقد أخذ بهذا التصنيف الجديد معظم المناطق فيما بعد، في الشرق والغرب على السواء^(١).

وهناك أسباب بسيكولوجية للوقوع في الغلط، وأخرى إبستمولوجية. أما الأسباب النفسية فقد عددها أرسطو، وأهمها الهوى والانفعال مثل الغضب. وهذه الأسباب وإن أوردتها ابن سينا، لم يقف عندها طويلا. أما الأسباب الإبستمولوجية فهي العجز عن التمييز، وذلك يرجع إلى المشابهة بين الأشياء^(٢). وقد ناقش ابن سينا هذه المسألة مناقشة طويلة، وأرجع إليها السبب في جميع المغالطات. فهو عندما تعرض لأنواع المغالطات وإمكان ردها جميعا إلى الجهل بالتبكي، أو إلى الجهل بالقياس الحقيقي والتبكي الحقيقي يقول: «والسبب المقدم في ذلك، وفي كل ضلالة، سبب واحد، وهو: العجز عن الفرق بين الشئ وغيره، والفرق بين التقيض وغير التقيض. فإن الجهل بأن غير التقيض تقيض، كالجهل بالفرق بين الشئ وهو هو»^(٣) فكانه رد

(١) انظر مثلا ليارد في كتابه "المنطق" Liard, *Logique*, Paris 10ème éd. يقسم المناططات إلى صورية *formels*، ومادية *matériels*، ثم يتحدث عن المغالطات في الاستقراء ويورد أهم ما ذكره ستيوارت مل — أما كوهين وناجل فقد قسموا المغالطات، إلى صورية، ومادية ونصف صورية أو لفظية *semilogical*، verbal المرجع السابق ص ٣٧٦

(٢) انظر السفسطة لأرسطو — الفصل السابع ١٦٩ وما بعدها، وكذلك الفصل العاشر.

(٣) السفسطة، ص ٣٢

نوعى المغالطة ، اللفظية والمعنوية ، نعى تلك التى تصيب التصور وتلك التى تصيب التصديق ، إلى أصل عقلى آخر هو العجز عن التمييز والفرقة . وهذا هو المبدأ نفسه الذى ذهب إليه ديكرت فى منهجه من وجوب الوضوح والتمييز .

يحصل التميز - ويسميه ابن سينا « التفصيل » أيضا - فى الذهن ، وينشأ من تطبيق المعنى على اللفظ ، وعن تصور المعنى فى الذهن وصلته بالشيء الخارجى . ذلك أن اللفظ واسطة بين الشيء الخارجى ، وبين المعنى الذهنى . وعند ما يتعلق المنطقى باللفظ يعتمد عن المعنى ، ثم عن الشيء الخارجى ، فإذا شاء أن يلحظ الصواب فعليه أن يلحظ الشيء نفسه . أو بعبارة ابن سينا : « ومن قدر على التميز بادر فلاحظ الشيء نفسه ، وصار سماعته للفظ إشارة فيه على المعنى ، حتى إذا قال "موجود وواحد" تميز له مثلا ما هو الأول بذاك ^(١) . وعنده أن الألفاظ أكثر تضليلا من المعانى ، « ولذلك ما يقع الغلط فى المحاوراة أكثر منها فى الفكرة » ^(٢) . وهكذا وضع ابن سينا لمصممه على جو السفسة الأرسطية ، نعى « المحاوراة » ، فقد كان تعليم السوفسطائيين وخطابهم وبلغتهم ، وجدل الإيليين ، وفلسفة سقراط وأفلاطون ، وحتى أرسطو نفسه ، قائمة على المحاوراة والمناقشة . وكان طلب المعرفة والعلم فى ذلك العصر لا يعتمد على الكتب بمقدار ما كان يعتمد على السماع . ولم تكن المحاوراة اللفظية ، أو المناقشة discussion ^(٣) هى طريقة التعليم فقط ، بل كانت كذلك الطريقة التى يتعاون بها الأصحاب فى البحث عن الحقيقة الفلسفية . فلا غرابة إذن ألا يبحث أرسطو فى معظم كتبه المنطقية فى التفكير الذى يدور فى الذهن ، بل المجمة التى تجرى بين شخصين متنازعين . فهو يبحث فى الطرق التى يمكن بها فى هذه المحاورات اللفظية طلب الحقيقة ، وامتحان الحلول المقترحة للسائل

(٢) السفسة ، ص ٣٤

(١) السفسة ، ص ٣٣

(٣) Joyce, Principles of Logic, p. 264.

المطروحة ، وتجنب الحجج الزائفة للمغالطين^(١) . وبما أن ابن سينا كان قد نقل المنطق من هذا النحو اللفظي إلى جو « الروية الباطنة » ، أو « النطق الداخلي » ، فقد جعل عنايته بالمعاني وأساليب التفكير ، لا بالألفاظ ، إذ « ليس للمنطقي — من حيث هو منطقي — شغل أول بالألفاظ إلا من جهة المخاطبة والمحاوراة . ولو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة ، إنما تلاحظ فيها المعاني وحدها ، لكان ذلك كافيا ؛ ولو أمكن أن يطلع المحاور على ما في نفسه بحيلة أخرى ، لكان يغني عن اللفظ ألبتة »^(٢) .

هذا هو السر في أن ابن سينا هاجم القائلين بأن جميع أسباب الغلط ترجع إلى اللفظ ، ورفض هذا الرأي رفضا باتا ، واتجه بعد ذلك اتجاها جديدا في قسمة المغالطات إلى صورية ومادية .

٧ — طريقة التحقيق :

رجعنا إلى جميع المخطوطات التي وُصِفَتْ عند تحقيق مدخل ابن سينا من الشفاء ، وأضفنا إليه مخطوطا رمزنا إليه بحرف « سا » . واتبعت الطريقة ذاتها في التحقيق^(٣) .

ولمّا نود أن نضيف بعض الأمور بمناسبة هذا الكتاب .

(١) رجعنا في ضبط الأمثلة ، وتحقيق العبارة إلى كتاب السفسطة لأرسطو ، وإلى الترجمة العربية القديمة . وبما أن كتاب ابن سينا

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥

(٢) الشفاء ، المدخل — ص ٢١ — ٢٢

(٣) الشفاء ، المدخل ، المقدمة ٣٥ — ٤٢

ليس ترجمة لكتاب أرسطو ، فلم نجد ضرورة لذكر المواضع الأصلية من كتاب أرسطو . وفي مقدمتنا نماذج لهذه الموازنة ، التي أفادت في تصحيح كثير من المواضع ، ووضحت كثيرا من القراءات .

(ب) هناك أسماء أعلام من اليونانيين وردت خلال الكتاب . وقد اضطرب النسخ في رسم هذه الأعلام . وقد أوردنا في المتن الرسم القريب للنطق اليوناني ، والجاري الآن في الاستعمال . مثال ذلك « زينون » فإنه يرسم في جميع المخطوطات « زينين » .

(ج) وهذا ثبت بالمخطوطات التي رجعنا إليها ورموزها .

ب = بنجيت ، رقم ٣٣١ مكتبة الأزهر خصوصية .

بنج = هامش بنجيت .

د = دار الكتب ، رقم ٨٩٤ فلسفة .

س = سليمانبة (داماد) رقم ٨٢٤

سا = سليمانبة (داماد) رقم ٨٢٢^(١)

م = المتحف البريطاني رقم ٧٥٠٠

ن = نور عثمانبة رقم ٢٧٠٨

ه = المكتب الهندي ٤٧٥٢

أحمد فؤاد الأهواني

(١) يراجع وصف هذا المخطوط الجليل في "جوامع علم الموسيقى" من كتاب الشفاء ،

السفينة

—

المقالة الأولى
